

يمتاز الأعشى بكثرة قصائده الطويلة ، كما يمتاز بكثرة تصرفه في فنون الشعر من مديح وهجاء وفخر ووصف وخمر وغزل . أما المديح فقد قالوا إنه أول من سأل بالشعر واستجدى بالقريض (١) واتخذة مستجترأ يطوف به البلاد (٢) ، وحقاً سبقه غير شاعر إلى المديح كزهير والنابغة ، ولكن أحداً منهم لم يحرص على الاستعطاء وطلب النوال كما حرص الأعشى فقد طاف في أطراف الجزيرة العربية يمدح السادة والأمراء ، ذاكراً ما يفيضون عليه من الإبل والحياد والإماء وصحاف الفضة وثياب الخز والديباج ، منوهاً في أثناء ذلك بسؤاله لهم ، غير مسبق على شيء من نفسه . ومعاني المديح عنده لا تفترق عن المعاني العامة في مدائح الجاهليين ، فهو ما يني يمدح بالكرم والشجاعة والوفاء وعون الضعفاء في القبيلة ، وكثيراً ما يعرض الجيوش ممدوحه إذا كان أميراً أو شيخاً لقبيلته مصوراً ما تنزله على الأعداء من التقتيل والنكال ، وقد يطيل في وصف ما تشنه من غارات على الأعداء ، ممدوحه ثناء مفرطاً . ومن أهم ما يميز مديحه بالقياس إلى الجاهليين كثرة إسرافه فيه ، ولا نقصد الإسراف في الأوصاف من حيث هي وإنما نقصد الغلو فيها والإفراط ، بحيث يعد مقدمة المبالغات العباسيين في مدائحهم ، وقد يكون ذلك من أثر رغبته الشديدة في العطاء ، وقد يكون من أثر الحضارات التي ألم بها في طوافه ، وهذا هو معنى ما نقوله من أنه يشبه العباسيين ، فذوقه في المديح يقترب من ذوقهم وما نعرفه عندهم من غلو دفعهم إليه ملق الخلفاء والوزراء بنفس الباحث الذي بعث الأعشى على إفراطه في مديحه ، ونقصد طلب النوال والعطاء الجزيل . من مديحه لقيس بن معد يكرب إذ يقول : **وَسَعَى لِكُنْدَةَ سَعَى غَيْرِ مُوَاكِل قَيْسٍ فَضَرَ عَدُوها وَبَنَى لَهُ**